

الأعمال الصالحات في رمضان

الحمد لله الذي جعل تعاقب الليل والنهار عبرةً لأولي الأبصار، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفار، حكم بفناء هذه الدار، وأمر بالتزود لدار القرار، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله قائد المجاهدين، وإمام المتقين، عبد الله فأحسن عبادته، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أهل البرِّ والوفاء، والإحسان والتقى.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، وراقبوه في السرِّ والنَّجوى.

أيها المسلمون:

لقد اصطفى الحقُّ تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ وجعله رسولاً للعالمين وخاتماً للنبيين، وجاءت رسالته عامةً شاملةً لأُمور الحياة كُلِّها على اختلاف الأزمان وتعاقب الأجيال.

ولقد اختار الله من الأزمان مواسمَ للطاعات، واصطفى فيها أياماً ولياليَ وساعاتٍ فضلاً منه وإحساناً، وكلما لاح هلالُ رمضان أعاد إلى الأمة الإسلامية ذكرى أيامه المباركات، وما يكون فيها من النفحات.

وها هو ذا هلال رمضان يلوح في الأفق إيذاناً بشهر الخيرات، يهل بعد مسير الناس أشهراً في مسالك الحياة ينالون منها وتنالُ منهم. ما أسرع

ما عادت الأيام يشبّ الطفل ويشيخ الشاب ويهرم الشيخ، وينظر المرء إلى عمره فلا يجد إلا ماضياً لن يعود، ومستقبلاً لا يدري ما الله فاعل فيه .

وإنّ من عوامل سرور النفوس وبهجتها، ومن بواعث فرحها وغبظتها، عودة أيام السرور عليها، وبزوغ شمس الهناء على ربوعها .

إنه شهر الصوم الذي ينطلق فيه الصائمون إلى آفاق الضياء والنقاء يجد فيه الصائم ما يمسح عن جبينه وعتاء الحياة، وما يمحو من إرادته الوهن والتردد، وما يدفع عن نفسه الحيرة والفتور .

شهرٌ مبارك يستقبله المسلمون آملين أن يكون مغفرةً من أدران الخطايا وغفوات النفس وغفلات الجنان، إنه زاد الروح ومتاع القلب تسمو به همم المؤمنين .

وإن استقبال شهر الصوم تجديدٌ لطيف الذكريات، وعهود الطهر والصفاء، والعفة والنقاء، ترفع عن مزلق الإثم والخطيئة. له في نفوس الصالحين بهجة، وفي قلوب المتعبدين فرحة، ربّ ساعة قبول أدركت عبداً فبلغ بها درجات الرضا والرضوان .

في الصيام تنجلي عند الصائمين القوى الإيمانية والعزائم التعبدية، يدعون ما يشتهون ويصبرون على ما لا يشتهون، يتجلى في نفوس أهل الإيمان الانقياد لأوامر الله وهجر الرغائب والمشتهيات، تعظم النفوس حين تترك كثيراً من الملذات .

الصيام سر بين العبد وربه يفعله خالصاً ويعامله به طالباً لرضاه فهو لرب العالمين من بين سائر العمل، «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» (متفق عليه). ويتحقق فيه الإخلاص لله بعيداً عن الرياء، ويعمق في القلب اليقين، ويزيد فيه الإيمان، وتتجلى في النفس معاني التوحيد .

وهذا المعنى مما تُنازَعُ فيه النفس ويوسوس بضده الشيطان، لكنَّ التقيَّ من ينتصر بصيامه، ويرفَعُ رايةَ إيمانه، ويقدمُ دليلَ توحيده، ويقضي على رذائل الرياء والنفاق. وقد جعل اللّهُ لهذه المحامد ولتلك المآثر التي تتحقق للصائمين في معاني تجريد الإخلاص وتعميق المراقبة ثواباً مُتميّزاً، إذ جعل للصائمين باباً خاصاً من أبواب الجنة يدخلون منه لا يشاركون فيه، يقول النبي ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل أحد» (متفق عليه).

الصيام يُصلِحُ النفوسَ ويسمو بها، ويدفع إلى اكتساب المحامد، والبعد عن المفسد، ويقوِّي العزائم، ويقوم الإرادة، ويقرب العبد من ربه، وبه تُغفرُ الذنوب وتُكفَّرُ السيئات، وتزداد الحسنات وترفع الدرجات يقول النبي ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه).

وهو سيد الشهور فيه نزل القرآن، وهو شهرُ الطاعة والقربة، والبرِّ والإحسان، وشهرُ المغفرة والرحمة والرضوان، تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران، يقول النبي ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين» (متفق عليه).

فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، فيه صبرٌ على مرارة الجوع، وحمأة الظمأ، ومكابدة المتاعب في زجر الهوى والامتناع عن الرغبات، فيه تذكيرٌ بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وفيه جلاء الصدور بالذكر، وتطهير النفوس بالعبادة.

إنه شهر المعاني الكريمة، والمقاصد النبيلة، والأهداف السامية، وهو مظهر عملي من مظاهر وحدة المسلمين، يتساوى فيه الأغنياء والفقراء

ويتساوى فيه الصغير والكبير والذكر والأنثى، كلهم صائمٌ لربه، يمسون عن الطعام في وقت واحد، ويفطرون في زمن واحد، ويتساوون طيلة نهارهم بالجوع والظمأ، إنه حلقة اتصال بين المسلمين مهما تئات الديار وشط المزار، فيه يتحقق قولُ الربِّ سبحانه: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٢].

أيها المسلمون:

الكتابُ العزيزُ عمدةُ الملة، وينبوعُ الحكمة، وآيةُ الرسالة، ونورُ الأبصار والبصائر، لا طريق إلى الله سواه ولا نجاه لنا بغيره، والأمة بدونه ليس لها مكان في الأرض ولا ذكر في السماء، ونزول القرآن في رمضان إيحاء لهذه الأمة بالإكثار من قراءته ومدارسته في هذا الشهر.

كان بعض السلف يختم في رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر، وكان الإمام مالك - رحمه الله - إذا دخل رمضان أقبل على تلاوة القرآن وترك قراءة الحديث.

عباد الله:

إن دائرة الجود تتسع لما تهفوا إليه القلوبُ المؤمنة من التطوع في الخير، والتوسع في إسداء المعروف. والإسلام الحنيف قد رغب في ذلك ترغيباً يشرح صدرَ الكريم ويعالج شحَّ اللئيم قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥]، والمال لا يذهب بالجود والصدقة، إنما هو قرضٌ حسن مضمون عند الكريم يضاعفه في الدنيا بركة وسعادة، ويضاعفه في الآخرة نعيماً مقيماً، يقول المصطفى ﷺ: «ما من يومٍ يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (متفق عليه).

تحسّس بيوت المساكين والفقراء والأرامل والأيتام، ففي ذلك تفريجٌ

كربة لك، ودفعُ بلاء عنك، وإشباعُ جائع وفرحةٌ لصغير، وإعفافٌ لأسرة وإغناءٌ عن السؤال. لقد كان رسول الله ﷺ أكرمَ الناس وأجودَ الناس، إن أنفقَ أجزل، وإن منحَ أغدق، وإن أعطى أعطى عطاءً من لا يخشى الفاقة والفقير، وكان يستقبل رمضانَ بفيضٍ من الجود، ويكونُ أجودَ بالخير من الريح المرسلة، التي تسوق السحاب في كل واد وتبت الرخاء في كل مكان. ورمضانُ موسمٌ للمتصدقين يتنافس فيه الأغنياء بالبذل والإنفاق في فعل الخيرات، وصنائع المعروف، ومدد يد العون والمساعدة والصدقة إلى ذوي الفاقة والمساكين وإتحاف الفقراء، يقول عليه الصلاة والسلام: «يا ابن آدم: أنفق ينفق عليك» (متفق عليه).

ومن جاع هذا الجوع الاختياري فليتذكر من يتجرعُ غصصَ الجوع القهري، وليشكر نعمةَ ربه فإنَّ من شكرِ الربِّ الغنيَّ البذلَ لعباده الفقراء، ومن شكرِ الإله القوي إسعادَ خلقه الضعفاء، والمال لا يبقيه حرصٌ وبخل، ولا يذهبه بذلٌ وإنفاق. ولا تكن كالشقي البخيل يزهد نفسه في الدنيا بجمعه، وفي الآخرة يحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه، عيشه في الدنيا عيشُ الفقراء، وحسابه في الآخرة حسابُ الأغنياء.

أيها المسلمون:

يرتبط النصرُ بالصوم كثيراً، ولهذا كانت معظمُ انتصارات المسلمين في رمضان، ففي السنة الثانية من الهجرة استفتحت تلك الانتصاراتُ بغزوة بدر الكبرى التي كانت منعطفاً في سير التاريخ، وفي رمضان من السنة الخامسة كان استعدادُ المسلمين لغزوة الخندق، وفي رمضان من السنة الثامنة للهجرة تم الفتحُ الأعظمُ فتحُ مكة واستسلم ساداتها بعد طولِ عداوة، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً، وتهاوت الأصنامُ بمعول التوحيد، وهدم مسجد الضرار في رمضان، وهدمت كبارُ أصنام العرب

اللات ومناة في رمضان، ومعركة اليرموك ومعركة عين جالوت ومعركة حطين كلها كانت في شهر النصر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ... ﴾ [الآيتان البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خص بالفضل والتشريف بعض مخلوقاته، وأودع فيها من عجائب حكمه وبديع إتقانه، خلق فقدر، ودبر فيسر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون.

أما بعد: أيها المسلمون

إن عمل البر لا يكون على تمامه ولا يقوم على سوقه إلا حينما يكون بمحبة صادقة ورغبة مخلصه. وليكن لك - أيها المسلم - في أشهر الصوم عمل وإتقان، وتهجد وقرآن، واغتنام عمرة في رمضان فإنها تعدل حجة، ولقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام الاعتكاف في رمضان، وهو لزوم مسجد طاعة لله، وهو يعني: عكوف القلب على الله والانقطاع عن الخلق والاشتغال بالعبادة والذكر وقراءة القرآن. وابتعد عن خوارق الصوم ومفسداته، وإياك أن تقع في أعراض المسلمين، واحفظ لسانك وسمعك وبصرك عما حرم الله، يقول الإمام أحمد - رحمه الله -: «ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يماري، كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً». ومن بلي بجاهل فلا يقابله بمثل سوئه يقول المصطفى ﷺ: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم» (رواه البخاري).

واجعل شهرَ صومِك جهاداً متواصلاً ضد شهوات النفس، وانقطاعاً إلى الله بالعبادة والطاعة، ومدارسةً لآيات التنزيل، وقياماً مخلصاً بالليل، فهو موسم للتوبة والإنابة، فباب التوبة مفتوح، وعطاء ربك ممنوح، فمتى يتوب من أسرف في الخطايا وأكثر من المعاصي إن لم يتب في شهر رمضان؟! ومتى يعود إن لم يعد في شهر الرحمة والغفران؟! فبادر بالعودة إلى الله، واطرق بابه، وأكثر من استغفاره.

أيتها المسلمة:

ابتعدي عن المباهاة في صنوف المأكّل والمشرب، فإن مواسم الطاعات جديرة بما هو أنفع وأجدى، واغتنمي شهرَك بالعبادة والصالحات من الأعمال والأقوال، واحذري الأسواق فإنها أماكن الفتن يقول النبي عليه الصّلاة والسّلام: «أحب البلاد إلى الله مساجدُها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقُها» (رواه مسلم).

وتشبهي بنساء الصحابة فقد كانت إحداهنّ تلصق نفسها بالجدار إذا خرجت من بيتها لحاجة، وتجنبي مواطنَ الزلل وعشراتِ الطريق، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما تقربت امرأة إلى الله بأعظم من قعودها في بيتها»، وإن خَرَجْتِ لحاجةٍ فاخرجي محتشمةً بعيدةً عن أعين الرجال غاضةً الطرفَ على استحياء.

فاتقوا الله عباد الله:

واغتنموا زمنَ الأرباح، فأيامَ المواسم معدودة وأوقاتُ الفضائل مشهودة، وفي رمضان كنوزٌ غالية فلا تضيعوها باللهو واللعب وما لا فائدة فيه، فإنكم لا تدرّون متى ترجعون إلى الله، وهل تدرّون رمضان الآخر أو لا تدرّكونه، وإن اللبيب العاقل من نظر في حاله وفكر في عيوبه وأصلح نفسه قبل أن يفاجئه الموت، فينقطع عمله وينتقل إلى دار البرزخ ثم إلى دار الحساب.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير فقال في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦] . . .